فان كوخ يعلّم شجرة كرز ...

مسرحية بقلم جليل القيسي

(حديقة واسعة . في مقدمة المسرح شجرة كرز كبيرة الساق . من بعيد تلوح بعض البيوت الخشبية . الوقت خريف ، ارض الحديقة ملأى بالاوراق الصفراء الذابلة . بين حين واخر تهب موجة ريح تعبث بالاوراق . كان كوخ يأتي من بعيد بخطوات ثقيلة . ويتكيء على ساق الشجرة بعد ان يتأملها) .

كوخ (بحزن) : أأنت الاخرى مريضة ايتها الشجرة البائسة؟ (بسخرية) اخشى انك مصابة بالانفلونزا . (يمسك ساق الشجرة ، ويحاول ان يهزها .) ألم تملي وجودك بعد ؟ لقد خلدتك ايتها المعتوهة. خلدتك في لوحتي الاخيرة . (ينتابه شيء قليل من الهستيريا .) موتي! موتي ، ايتها العجوز . حتى اوراقك التعسة اصيبت بالتدرن . (يؤشر الى الارض.) انظري .. انظري كم هي صفراء ، اكثر صفارا من وجهي . (باصرار .) اقسم انها مصابة بالتدرن . (بعد صمت .) اعرف ، اعرف انك تنتظرين الحياة من جديد . تنتظرين الربيع ايتها المعتوهة . تنتظرين شحنات من الامال الخضراء . (بضحك حزين .) ولكن ماذا تبغين من هذا التكرار الممل . ألم تملي الرتابة . (بعصبية.) صيف ، شتاء ، ربيع ، خريف . سخافة . جنون . (بعد صمت .) لو ، لو فقط القيت نظرة صغيرة على هيئتك المضحكة . اتعرفين ماذا تشبهين ؟ تأكدي انك تشبهين كلبا انكليزيا حليقا .

ها . ها . ها . (يركل الارض .) وهذه الارض ، انها تسخر منك . لقد اعطتك جرعات من سم الخريف ، موتي . موتي ايتها العاهرة . ثقي ان الارض تلعب معك لعبة القط والفأر . قسما بالفن الذي اقدسه انها ستعطيك غدا بضع جرعات من عسل الربيع المدسوس بالسم ، لمجرد ان تتبرجي بحبات الكرز . انها انانية لحد الجنون .. (يركل الارض .) انت انانية . (بعد صمت .) ولكن ! ولكن كلنا أنانيون .. كلنا صريع الانا . انا .. انا . وانت ايتها المعتوهة ، انت الاخرى صريعة الانا . لمجرد الانا تنتظرين جرعات عسل الربيع . (بعد صمت .) وماذا عن نفسي . (يغطي وجهه بباطن يديه .) انا .. انا اكثر تمزقا من هملت ..

لتكن او لا تكن . (فجأة تأتي بعض العصافير وتحط على الشجرة وتزقزق بصخب .) اسمعيها جيدا . لا تكوني خرساء . انها تردد الانا . انا . انا .. (محدثا نفسه .) بحق الجحيم ماذا تبغي هذه المخلوقات الصغيرة من الاستمرار في الحياة ؟ (بتعجب .) ولكنها سعيدة ابدا . رأس صغير ، وجناحان ، وكفى . ولكنها سعيدة . (يرفع رأسه عاليا .) افتحي اذانك جيدا ، لا تقولي انها ليست واضحة ، اليس كذلك ؟ انها تردد الانا . انا اسمعها رغم اذني الواحدة. (بضحك عال .) لا تسألي اين اذني الاخرى ، فهي راحت هدية متواضعة لسيدة محترمة اعجبت بكبرها . أولسنا نحن البشر مخلوقات شاذة ؟ نعشق الاذن ، والعين ، والانف ، والشعر ها ها ها . نعشق سخافات كثيرة لمجرد ان نثبت اننا احياء ، (بعصبية .) اسمعي . لا تثقي بالارض ايتها العاهرة : انها كالمرأة قليلة الوفاء ، تعطيك كل شيء . من ثم تبتلعك . انصحي جذورك الضاربة في اعماقها ، ان تضرب عن الامتصاص . اعرف جيدا ان حلمتي اثداء الارض جميلة ومغرية . المهم انصحيها لانها ضعيفة الارادة تستسلم لها بغمزات صغيرة . (يتوقف قليلا ، تمر امرأة شابة بالقرب منه .)

المرأة : (باستفسار .) كم الساعة رجاء .

كوخ : لست ادري . ولكن الشمس ستغيب حتما بعد ساعتين .

المرأة : ألا تحمل معك ساعة .

كوخ : كلا .. لانني لا اجد لها قيمة . (يسترسل .) لان كل شيء واضح يا سيدتي : صباح . ظهر . مساء . ليل . (تضحك المرأة تؤشر الى الشجرة .)

المرأة : انها شجرة كبيرة .

كوخ : (بانطلاق .) فعلا . فعلا سيدتي لانها تمثل اللاشيء . (تهم المرأة بالسير .) انه خريف جميل أليس كذلك ؟

المرأة : انه فعلا .

كوخ : سيدتي (تلتفت المرأة بسرعة ، وتحدق فيه بتعجب .) أتشعرين بألم ؟

المرأة : (بتعجب .) كلا ، (بتعجب اكثر .) ولماذا اشعر بألم ؟

كوخ : آسف . مجرد سؤال . مجرد سؤال . (بتجبجب .) الانسان كائن غريب ، ومعقد . (تهز المرأة كتفيها ، ورأسها .)

كوخ : لانه حين يعاني شيئا يعتقد الاخرون يعانون الشيء نفسه.

المرأة : (بخوف .) كلا . كلا . انا لا اعاني شيئا البتة .

كوخ : (بتوسل) ولكن ارجوك ، ابعدي عنك الالم . الالم : كلمة سخيفة . (بلطف) ولكن الالم يحيط بنا كالهواء . أليس كذلك ؟

المرأة : (بتعجب .) لست ادري .. لست ادري .

كوخ : (بتعجب .) كيف لا تدرين ؟ سيدتي حتى الهواء نفسه يتألم ، لانه مل الدوران حول هذه الكرة الاهليجية . الهواء نفسه يعني الالم . سيدتي لو فكرت قليلا . (يؤشر الى الشجرة .) انظري الى هذه الشجرة المضحكة : انها تمثل الالم ، وبالتالي العبث .

المرأة : لست ادري ماذا تقصد ؟

كوخ : حسنا . ألم تتألمي ولمرة واحدة ؟

المرأة : (بهلع .) انك تهذي .

كوخ : (بعد صمت .) ولكننا نظل نهذي حتى نموت . ثم ان الهذيان ظاهرة حياتية معروفة .

المرأة : (تحدق فيه بوجل .) انت تشبه (وهي تبتعد .) انت تشبه ذلك المجنون فان كوخ .

كوخ : (يضرب يده بصدره .) انا فان كوخ . أقسم انني فان كوخ . (بتعجب .) وهل انا فعلا مجنون ؟ الهذا السبب اشتكيتم عند العمدة . ها ها . انا مجنون . (بصوت عال .) سيدتي ..اسمعي سيدتي وهل هناك عقلاء ؟ . سيدتي لا تهربي . (يعود الى الشجرة ، ويتكيء عليها . وبعد قليل يلتقط قطعة ورقة ذابلة يسحقها باصابعه ، بسخرية) من لا شيء الى لا شيء . من لا شيء الى لا شيء . (يضرب الشجرة بقبضة يده .) انظري ايتها الصلعاء . انظري الى مخلفاتك المسلولة . لقد تمردت عليك . وجدت الانا . (يمر رجل عجوز على رأسه قبعة كبيرة ، يلتفت الى كوخ .)

الرجل العجوز : مساء الخير .

كوخ : مساء الخير .

الرجل العجوز : لقد اخذ الجو يبرد على نحو فظيع .

كوخ : انه الخريف ايها العم .

الرجل العجوز : (ضاحكا .) يقولون ان الخريف يلهم الشعراء. (بسخرية .) لا بد انك شاعر .

كوخ:ولكنني شاعر بدائي ايها العم ، لانني اكتب بالفرشاة والاصباغ.

الرجل العجوز : (بتعجب .) وماذا تكتب بالفرشاة والاصباغ ؟

كوخ : أكتب رأس ، عين ، انف ، فم .

الرجل العجوز : (هاما بالسير .) يبدو انك شاعر بدائي .

كوخ : مهلا ، دقيقة واحدة رجاء .

الرجل العجوز : نعم . ماذا تريد ؟

كوخ : هل انت سعيد ؟

الرجل العجوز : (بتعجب شديد .) ولكن هذا شيء خاص بي يا عزيزي . الشاعر البدائي .

كوخ : هذا صحيح . ولكن ارجوك اريد ان اعرف الجواب .

الرجل العجوز : لست ادري . (يبتعد الرجل العجوز تاركا خلفه موجات من الضحك .)

كوخ : (بعد صمت .) كيف لا تدري . (يصرخ .) اذن انت تعس . فكر في البيت ، او في الطريق جيدا ايها العم . (يغمغم محدثا نفسه .) انه لا يدري . انه لا يدري . ها . ها . ها . (بعد صمت طويل يلتفت الى الشجرة .) هل سمعت ايتها الصلعاء ، يقول انه لا يدري . من الذي يدري اذن ؟ (يحني رأسه ، وينفجر بعد قليل.) رباه اكاد انفجر . اكاد انفجر . (باستفسار جنوني .) لماذا اعيش ، ما الذي ابقيه من الاستمرار في الحياة . لقد تعبت . تعبت . تعبت . لا شيء . لا شيءابقيه . لقد سئمت ، تعبت ، مللت . مللت حتى الجنون . (بعد صمت ، وباشتياق .) حبذا لو تقابلت مع ذلك المأفون غوغان ، ولو مرة واحدة. الم يمل هذا البغل سياط شمس تاهيتي ، واخضرارها الفاقع ؟ الم يمل النهود العارية ، والارداف السمراء التي تملأ الحضن ؟ انه لا شك يبحث عن السمينات . لقد قال لي مرة انه يفضلهن سمينات وغبيات . (يهز رأسه بأسف .) كان يجب ان ارحل معه . رباه كم هو صعب ان يعيش الانسان دون ان يفهمه احد. الا تفهم وتقدر يعني ذروة الشقاء . (يصرخ .) ذروة الشقاء . ذروة الشقاء . لا . لا . لا . لن استطيع ،لن استطيع الاستمرار ، لا يمكنني ان اظل عبئا على ثيو . ثيو المسكين ، التعس . لقد ارهقته بطلباتي . لقد تزوج . يجب ان يوفر لزوجته الصغيرة السعادة . ولكن اية سعادة ؟ لا يهمني كيف يفهم السعادة . المهم ان يوفر السعادة . كل شيء لزوجته . لقد يئس المسكين من لوحاتي التي غطتها طبقة سميكة من الغبار ، انا اعرف انني لا شيء . لا شيء . (يصرخ .) انا لا شيء . لا شيء . حتى هذه القرية الخربة لفظتني . انا لا شيء ، حتى اميل زولا سخر مني . الم يكتب نقدا جارحا ضدي ؟ الم يقل حتى عمال المناجم امسكوا الفرشاة بايديهم ، ولوريك . رباه اين لوريك الان ، هذا القزم الطيب . (ببأس .) وحدي . وحدي . وحدي . (يضع يده في جيب سترته ، ويخرج مسدسا ، ويوجه فوهته الى رأسه ، ويطلق على نفسه رصاصة . يترنح قليلا . ويتكيء على الشجرة .) انتهى كل شيء . انتهى كل شيء . (يستذكر كلمات من احدى مسرحيات شكسبير : « ما الحياة الا طيف يمضي الى زوال . او ممثل لا حول له يخطر وينتقل على المسرح . (بتكاسل .) ثم لا يسمع منه بعد ذلك » (بعد صمت .) اه ، ان بوسع الانسان ان يمنح نفسه راحة طويلة ، بل ابدية ، بمجرد تمرد بسيط على الحياة . اصافحك ايتها الحياة ، اصافحك بصدق وان استمررت مناصبتي العداء . غوغان اشد على يديك بحرارة . (بصعوبة .) اقبلك يا لوتريك ، واخيرا ثيو ، اه . ارجوك اعف عني (بصعوبة بالغة بعد ان يبدأ بالسقوط .) رباه لقد افسدت عليك يا عزيزي ثيو يوم الاحد ، ثـ ... يو ..

كـركوك

جليل القيسي

كبوة الريح

على المحيط يستريح الثلج والسكوت
تسمر الموج على الرمال
والريح زورق بلا رجال
وبعض مجذاف وعنكبوت
من يشعل الفرحة في مدامعي ؟
من يوقظ العملاق ؟ من يموت ؟

**

رائحة الموت على الحديقه
تهزأ بالفصول
وانت يا صديقه
حشرجة ودمعة بتول
ووقع اقدام على الطلول
تبحث عن حقيقه
عن خنجر ، عن ساعد يصول
وكان ريش النسر في جراحنا العميقه
فما وتوقا ظامئا لدقة الطبول
لعصفة من كرم الريح تبل ريقه
وحلبة النزال ، اي غيمة رقيقه
تحوم عند كبوة الخيول
عودوا باشلائي ، دمي لم يبتسر طريقه
من مد للفجر يدا يستعجل الوصول

**

من شد عند صخرة ظنوني
ومد منقارا الى عيوني
يا سارق الشعلة ان الصخب في السكون
فاقطف زهور النور عبر الظلمة الحرون
نحن انتجعنا الصمت في المغاره
لان نتن الملح لا تغسله العباره
فانز لمعي للقمر تحت الرمل والحجاره
لا بد ان شعلة تغوص في القراره
وارجع بها شراره
تنفض توق الريح من سلاسل السكوت
تعلم الانسان ان يموت

الدار البيضاء

احمد المجاطي